الصّارِمُ المُبِيدُ لمُنكِرِ حِكمَةِ التَّقلِيد

للشّيخ محمّد علي بن حسين المكّي المالكي (1367هـ)

–دراسة وتحقيقا–

د. فؤاد بن أحمد عطاء الله

أستاذ أصول الفقه المساعد بكليّة الشريعة والقانون بجامعة الجوف المملكة العربيّة السّعوديّة،

[1] fouadatallah1982@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/01/25م؛ تاريخ القبول:2020/09/13، تاريخ النشر: 2020/10/10

الملخص:

يتضمّن هذا البحث دراسة وتحقيقا لمخطوط: (الصّارِمُ المبِيدُ لمنكِرِ حِكمَةِ التَّقلِيد)، لمُفتِي المالكيّة الشّيخ محمّد علي بن حسين المكِيّ المالِكِيّ (1367هـ)، وهو كتاب في مسألة من مسائل علم أصول الفقه، تحدّث فيه المؤلّف عن حكم التقليد وحكمته، وقد أراد الباحث نشر المخطوط؛ لأنه لم يُحقّق من قبل ولم يطبع ولم يُنشَر، ولم يحظ بدراسة أكاديميّة جادّة، فأنجز هذا البحثَ الذي يتضمّن دراسة للمخطوط، وذلك تمهيدا لتحقيقه تحقيقا علميا ونشره وطباعته، فاشتمل البحث على مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، تضمّنت التعريف بالمؤلِّف، والتعريف بالمخطوط، كما خرج البحث بجملة من النّتائج المفيدة والتوصيات المهمّة المتعلّقة بموضوع البحث.

الكلمات المفتاحية: دراسة، تحقيق، مخطوط ؛ الصّارِمُ المبِيدُ لمنكِرِ حِكمَةِ التَّقلِيد؛ محمّد علي بن حسين المكِيّ المالِكِيّ.

Abstract:

This research consist of a study and investigation of the manuscript: (alssarim almubid lmunkir hikmat altaqlid), by Sheikh Muhammad Ali bin Hussein al-Maliki al-Maliki (1367h), in the principles of Islamic jurisprudence, the researcher saw the importance of publication of the manuscript, because of that he wrote this research, that consists the introduction of the Author and an introduction of the manuscript, overall, the research enhanced on many progressive outcomes that are valuable in the field of this research.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين، أمّا بعد:

فهذا مخطوط لطيف، وكتاب ظريف، عنوانه: (الصّارِمُ المبِيدُ لمنكِرِ حِكمَةِ التَّقلِيد)، صنّفه الشيخ محمّد عليّ بن حسين المكيّ المالكي رحمه الله تعالى، تحدّث فيه عن مشروعيّة التقليد، وحُكمه وحِكمته، والثّمرات المرجوّة منه لعوامّ المسلمين.

وقد رأيتُ نشر هذا المخطوط والعناية به؛ لأنه يحظ بالتحقيق والطّباعة والنّشر من قبل، وقد ضمّنتُ هذا البحث دراسة للمخطوط، وذلك من أجل التمهيد إلى تحقيق النصّ في عددٍ لاحق إن شاء الله تعالى.

أهمّية البحث.

يكتسي موضوع البحث أهمّيّة كبيرة، يمكن تجليتُها في النّقاط الآتية:

- يتعلّق موضوع المخطوط بعلم أصول الفقه، وهو العقلُ المفكّر للعلوم الشّرعيّة.
- القيمة العلميّة للمخطوط، حيث ضمّنها المؤلِّف لمسألة التّقليد ضمن باب الاجتهاد والتقليد والفتوى.
- الغايةُ من هذا البحث هي دراسة المخطوط، وذلك من أجل التمهيد لنشره محقّقا في عدد لاحق إن شاء الله تعالى.
- إبراز إسهامات متأخّري فقهاء المالكيّة في التّأليف في علم أصول الفقه.
- إثراء المكتبة الشرعيّة بهذا المخطوط، الذي لم يحظَ بالتحقيق من قبل.
- لا شكّ أنّ خدمة التّراث وتحقيق المخطوطات ونشرها من أجلّ الأعمال التي ينبغي أن يعتني بها الباحثون في الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة، فإنّه لا تزال الآلاف من المخطوطات محجوبة عن النّور، مغيّبة في خزائن المخطوطات، معرّضة للتلف والضّياع، وهذا البحث ما هو إلا جهد المقلّ المكدود في خدمة تراث علماء الأمّة الإسلاميّة وحماية علومهم ومؤلّفاتهم.

إشكاليّة البحث.

المخطوط عبارة عن كتابٍ جمع فيه المؤلّف ثمرات تقليد العامة للعلماء، ونقل فقرات وعبارات من كلام الفقه والأصول كالإمام أبي إسحاق الشّاطبي (790هـ)[1] وغيره –رحمهم الله جميعا–.

وتكمنُ الإشكاليّة في أنّ هذا الكتاب لم يستفد منه طلّاب العلم، بسبب أنّه غير محقّق وفق القواعد الأكاديميّة والضّوابط العلميّة لتحقيق النّصوص.

إضافة إلى ذلك فإنّ طبيعة هذا البحث، وكونه تحقيقا ودراسة لمخطوط، تحتّم علينا طرح تساؤلات أخرى، حول القيمة العلميّة للمخطوط، وكذا المكانة العلميّة للمؤلّف، وهل تصحّ نسبة المخطوط إليه؟ ونحو ذلك ممّا يتعلّق بقضايا تحقيق المخطوطات وخدمة التّراث.

دون أن ننسى أمرا آخر في غاية الأهميّة، وهو كون المؤلِّف من متأخِري فقهاء المالكيّة، فإنّ هذا يدفعنا إلى التّساؤل أيضا عن جهود الفقهاء في الكتابة في علم أصول الفقه.

فجميع هذه التّساؤلات مُجتمِعة تشكِّلُ في الحقيقة الإشكاليّة المِحوريّة التي يُحاولُ هذا البحثُ الإجابة عنها.

الدّراسات السّابقة.

لقد ظلَّ هذا المخطوطُ مُغفلا، لم يحظ بالدّراسة والتحقيق من قبلُ –حسب علمي–، ولذلك عزمت على خدمته والعناية به، وإخراجه في حُلَّةٍ جديدة، وهذا أقلّ ما يجب علينا تقديمه لتُراث علماء وأدباء أمّتنا –رحمهم الله تعالى–.

والإضافة العلميّة التي يُقدّمها هذا البحث أنّه يُخرج إلى عالم النّور مخطوطا أصوليّا ألّفه أحد متأخّري فقهاء المالكيّة، ولا شكّ أنّ في هذا إثراءً للمكتبة الإسلامية والعربيّة معًا بإضافة علميّة جادّة.

خطّة البحث.

يشتمل البحث على مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة.

[1] الشّاطبي (...– 790هـ): إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: (الموافقات في أصول الفقه)، و(الاعتصام) في أصول الفقه. انظر ترجمته في: شجرة النور الزّكية، لابن مخلوف، (332/1)، الأعلام، للزركلي، (75/1).

- أمّا المقدّمة فتشتمل على التعريف بالبحث، وبيان أهميّته، وخطّته، والدّراسات السّابقة.
- وأمّا المبحث الأوّل ففيه التعريف بالمؤلِّف، وهو الشيخ محمّد علي بن حسين المالكي –رحمه الله تعالى–، فعرضت اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته وطلبه للعلم، وأعماله ووظائفه، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلميّة، ووفاته، ومؤلَّفاته.
- وأمّا المبحث الثّاني فيشتمل على التّعريف بالمخطوط، وموضوعه، وصحة نسبته، ووصف نسخته الخطيّة ونحو ذلك.
- وأمّا النصّ المحقّق للكتاب فسأنشره في عددٍ لاحقٍ بإذن الله تعالى، وذلك نظرا لِكِبر حجم المخطوط الذي لا يتّسع له عددٌ واحد من أعداد هذه المجلّة الموقّرة.
- وأمّا الخاتمة ففيها أهمّ نتائج البحث، والتوصيات المقترحة.

منهج البحث.

استخدمت في تحقيق هذا المخطوط جملة من المناهج العلميّة، منها:

- المنهج التّاريخي، واستخدمته في ضبط ترجمة تاريخيّة للمؤلِّف.
- المنهج الوصفي، واستخدمته في وصف النّسخة الخطيّة للكتاب وموضوعاته ومحتوياته.
- منهج تحقيق النّصوص، واستخدمته في إخراج النّصّ المحقّق للكتاب كما أراده المؤلِّف –رحمه الله–، أو على أقرب صورة له.

وقد قمت بجملة من الخطوات الإجرائيّة منها:

- نسخت النّصّ المحقّق، وكتبته وفق قواعد الإملاء الحديثة.
- قابلت بين النّسخة الخطيّة وبين موارد المخطوط، وأثبتّ الفروق في الهامش.
- عزوتُ الآيات القرآنيّة.
- خرّجتُ الاحاديث النّبويّة، وذلك بالاكتفاء بالصّحيحين أو أحدهما، إذا كان الحديثُ فيهما أو في أحدهما، أمّا إذا لم يكن كذلك فإنّني أخرجه في كتب السنّة الأخرى، مع بيان درجة الحديث

صحّة أو ضعفا ما أمكن ذلك، وأذاكر عند التّخريج اسم الكتاب، واسم الباب، ورقم الحديث، ما أمكن ذلك.

- عزوت الأقوال والأشعار إلى مصادرها.
- شرحت الكلمات والألفاظ الغريبة.
- ترجمت للأعلام المغمورين، الذين ورد ذكرهم في البحث.
- وضعتُ العناوين التّوضيحية التي أدرجتها من عندي في النصّ بين معقوفتَين [...]، وأمّا ما كان بين قوسين (...)، فهو من كلّام المؤلِّف.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المبحث الأوّل: التّعريف بالمؤلّف.

خصّصت هذا المبحث للتّعريف بمؤلِّف المخطوط، من جهة اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته العلميّة، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلميّة ومؤلّفاته.

أوّلا: اسمه ونسبه.

هو محمّد علي بن حسين بن إبراهيم بن حسن بن عابد، المغربي الأصل، المكّيّ، المالكي، فقيه، نحوي ، وهو من أسرة علم في المغرب، أصلها من قبيلة العصور[1].

ثانيا: مولده.

ولد المؤلّف بمكة المكرّمة في شهر رمضان عام 1287هـ[2].

ثالثا: نشأته وطلبه للعلم.

(1) معجم تاريخ التراث الإسلامي، علي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط: (3499/5)، والأعلام لخير الدّين الزّركلي، (320/2)، ونثر الجواهر والدّرر للمرعشلي، (ص:1368).

(2) المراجع السّابقة.

هاجر جدّه إبراهيم إلى القاهرة، وهناك وُلِد والدُ المؤلِّف حسين، فدرَس في الأزهر، وتخرّج منه، ودرّس فيه، ثمّ انتقل إلى مكّة، وجاور بها عام نيّف وأربعين ومائتين، وفي مكّة ولد المؤلِّف رحمه الله، ولما بلغ عمره خمس سنوات، توفّي والده حسين رحمه الله في سنة (1292هـ)، فكفله أخوه الأكبر محمّد، فعلّمه، وهذّبه، وزوّجه، ولما توفِّي أخوه محمد في سنة (1310هـ)، التحق بأخيه محمّد عابد، وعنه أخذ علوم العربيّة، والفقه المالكي، وأخذ التفسير، والحديث، والرّواية عن ثلّة من علماء الحجاز في وقته[1].

رابعا: أعماله ووظائفه.

تصدّى للإفتاء والتدريس في المسجد الحرام، وفي منزله، وتكاثر طلّابه حتى سمِّي «سيبويه العصر»، وتولّى إفتاء المالكيّة في مكّة عام 1341هـ، رحل إلى أندونيسيا وسومطرة عام 1343هـ، ولقي حفاوة من علمائها[2].

خامسا: مكانته العلميّة.

تبوّأ المؤلّف –رحمه الله– مكانة علميّة عليّة عند علماء عصره، وأثنى عليه العلماء حتّى تولّى منصب مفتي المالكيّة في مكّة المحميّة[3].

ولكن من خلال تحقيق لبعض رسائل المؤلّف ومخطوطاته، لحظتُ أنّه لم تكن له عناية بعلم مصطلح الحديث، ولذلك يهِمُ أحيانا، فيحتجّ بأحاديث شديدة الضّعف، بل بالموضوع والمكذوب وما لا أصل له أحيانا أخرى، كما أنّ البيئة التي نشأ عليها المؤلّف لم تمكّنه من التعرّف على مذهب السّلف في الاعتقاد، فتجده أحيانا يُقرّر في العقيدة ما يخالف العقيدة الصّحيحة.

سادِسًا: وفاته.

توفّي في اليوم الثامن والعشرين من شعبان سنة 1367هـ في الطّائف، وكانت جنازته مشهودة[4].

سابِعًا: مؤلَّفاته.

---

(1) المراجع السّابقة.

(2) المراجع السّابقة.

(3) المراجع السّابقة.

(4) المراجع السّابقة.

للمؤلِّف –رحمه الله– مؤلّفات كثيرة منها:

«تهذيب الفروق للقرافي»، و«حواش على الأشباه والنّظائر للسّيوطي»، و«تدريب الطلّاب في قواعد الإعراب»[1].

المبحث الثّاني: التّعريف بالمخطوط.

خصّصت هذا المبحث للتّعريف بالمخطوط من جهة عنوانه، وسبب تأليفه، وموضوعاته، وموارده، وصحّة نسبته للمؤلِّف، ووصف نسخه الخطيّة.

الفرع الأوّل: عنوان المخطوط.

سمّى المؤلِّف –رحمه الله– مخطوطه هذا بعنوان: (الصّارِمُ المبِيدُ لمنكِرِ حِكمَةِ التَّقليد)، وهي العبارة نفسُها التي أثبتها المؤلّف نفسُه في صفحة العنوان، وكذا كرّرها في مقدّمة الكتاب فقال: "سمّيتُها بالصّارِمُ المبِيدُ لمنكِرِ حِكمَةِ التَّقلِيد".

الفرع الثاني: سبب تأليفه.

ذكر المؤلّف سبب تأليفه للكتاب، وأوضح أنّه رأى الحاجة إلى تأليفه، وذلك حينما رأى من يقولُ بمنع التّقليد مطلقًا.

الفرع الثّالث: موضوعات المخطوط.

قسّم المؤلِّف –رحمه الله– المخطوط إلى مقدّمة وفصلين وخاتمة، وهي:

المقدّمة: تحدّث فيها عن موضوع الكتاب وأهميّته والدّاعي إلى تأليفه.

الفصل الأول: تحدّث فيه عن الاجتهاد، وحكمه، وشروطه.

الفصل الثّاني: في فوائد وثمرات التقليد للعامي.

الخاتمة: وفيها أجمل مضامين الكتاب.

الفرع الرّابع: تحقيق صحّة نسبة المخطوط إلى المؤلِّف.

نسبة المخطوط إلى المؤلِّف –رحمه الله– صحيحة لا شكّ فيها، ويدلّ على ذلك عدد من الأدلّة:

[1] المراجع السّابقة.

الأول: أنّ المؤلّف كتبها بخطّ يده، فهي نسخة الأمّ، كما أنّه ذكر اسمه في مطلعها، وكتب اسم المؤلّف في ورقة العنوان، قال المؤلّف رحمه الله في مقدّمة المخطوط: "أمّا بعدُ فيقولُ العبدُ الفقيرُ إلا مولاهُ الغنيّ: محمّد علي بن حسين المالكي المكّي...".

الثّاني: أجمعت كتب الفهارس والتّراجم على صحّة نسبة الكتاب إلى المؤلّف.

الثّالث: أسلوب المؤلّف في الكتاب يتشابه مع أسلوبه في كتبه ومصنّفاته الأخرى.

الفرع الخامس: وصف النّسخ الخطيّة.

اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط على نسخة فريدة، ولم أتمكّن بعد البحث والتّنقيب من العثور على نسخة أخرى، وهي نُسخةٌ وَاضِحةٌ جيّدة، فيها نقصٌ في آخرها، محفوظة في قسم المخطوطات، في مكتبة مكّة المكرّمة، تحت رقم الحفظ: (50 فقه مالكي).

عدد اللوحات: 16.

نوع الخطّ: نسخ حديث.

عدد الأسطر: 23 سطرا.

المسطرة: 18× 32.

حالة النّسخة: جيّدة.

النّاسخ: هو المؤلِّف نفسه.

تاريخ النّسخ: غير معروف.

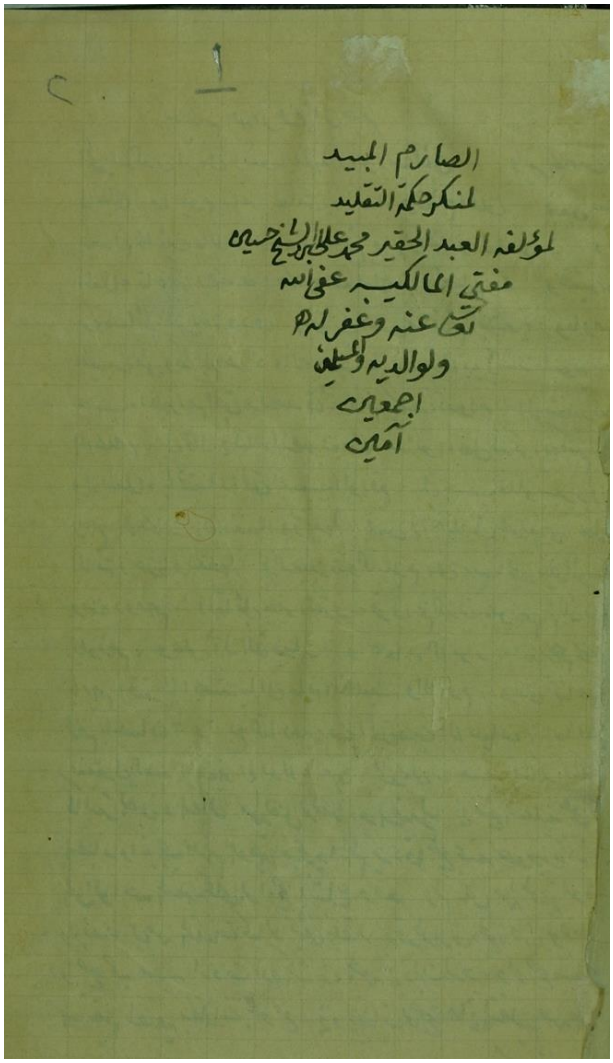

صورة غلاف المخطوط

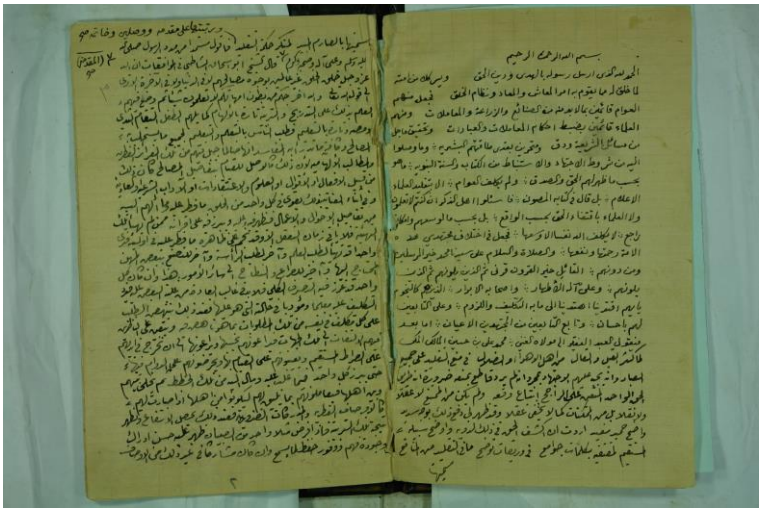

صورة الورقة الأولى من المخطوط

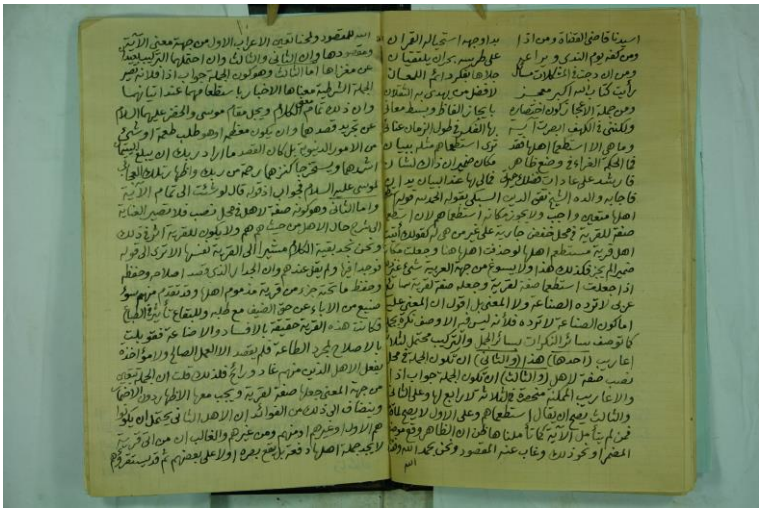

صورة ورقة من وسط المخطوط

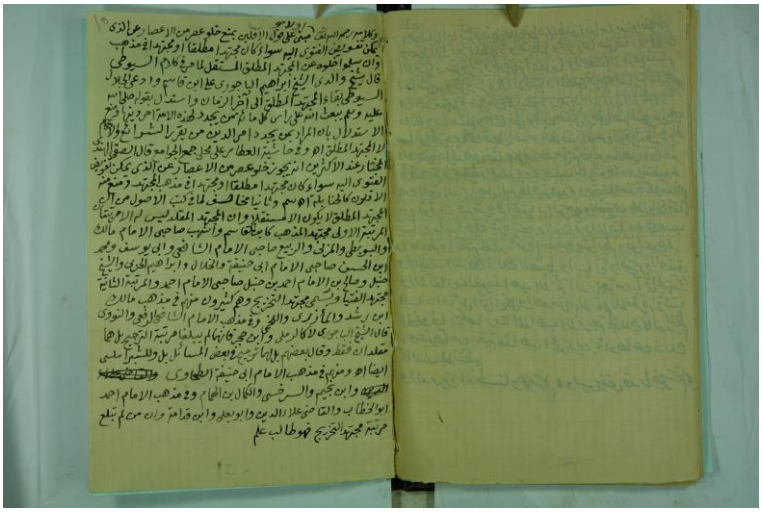

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

خاتمة.

توصّلتُ في هذا البحث إلى جملة من النّتائج العلميّة المهمّة:

- لم يحظ هذا المخطوط بالدّراسة والتحقيق من قبل، رغم قيمته الشّرعيّة والعلميّة.
- نشأ الشّيخ محمّد علي بن حسين المالكي –رحمه الله– في بيئة علميّة أسهمت في تكوين شخصيّته العلميّة، وملكته الفقهيّة.
- تبوّأ المؤلِّف –رحمه الله– مكانة علميّة عليّة، ومنزلة فقهيّة سنيّة، بين فقهاء وأدباء عصره، وحظي بثناء العلماء عليه.
- ترك المؤلّف جملةً من الرّسائل والمؤلّفات الفقهيّة والأصوليّة واللغوية والأدبيّة.
- نسبة المخطوط للمؤلّف صحيحة، لا غبار عليها.
- تضمّن المخطوط دراسة لمسألة من مسائل علم أصول الفقه ألا وهي حكم التّقليد وحِكمُه وثمراتُهُ.

التوصيات.

- يكتسي العمل على تحقيق المخطوطات وخدمة التّراث أهمّية كبيرة، ولذلك فإنه ينبغي توجيه عناية الباحثين في الدّراسات العليا إلى مثل هذه البحوث والدّراسات التي تهتمّ بفهرسة المخطوطات وتحقيقها وطباعتها ونشرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، برواية الإمام حفص عن عاصم –رحمهما الله تعالى–.
2. الأعلام، للزّركلي خير الدين بن محمود بن محمد، الدمشقي (1396هـ)، بيروت: دار العلم للملايين، ط: 15 (2002م).
3. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ)، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ – 2003م.
4. معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط: 1، 1422هـ – 2001م.
5. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ – 1928م.
6. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (1408هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، د ط.
7. معجم المؤلفين، كحالة، لعمر بن رضا، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت، دط، دت.
8. نثر الجواهر والدّرر، للمرعشلي يوسف، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1427هـ.
9. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (1399هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، دط.

10.قاعدة بيانات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض– السعودية.

11.قاعدة بيانات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دبي– الإمارات.